شرح ابن الأنصاري لمنفرجة التوزري

أ.عبد السلام محمد أندم

محاضر مساعد. كلية التربية كاباو. جامعة نالوت.

Almagbree9@gmal.com

ه 0914223616

الملخص:

تعدُّ قصيدة (المنفرجة) التي نظمها يوسف بن محمد التوزري من أشهر قصائد التصوف التي يحفل بها التراث العربي الإسلامي، تكمن شهرتها في كونها مثل بارز في قصائد الاستغاثة وطلب الفرج من الله عز وجل في ساعات العسرة والمحنة. ذاع صيتها بين الملأ في مشارق الأرض ومغاربها، فتغنى بها المهتمون في مجالس الذكر، ودونتها أقلام الأدباء والمؤرخين، وتناقلتها الأجيال، وقد بلغت شهرتها أن ترجمت إلى لغات أخرى، كالتركية، والفارسية، وانبرى العلماء من جل الأصقاع والبقاع لشرحها وحل رموزها، ومن هؤلاء ابن الأنصاري، فكيف كان تعامله معها؟ وهل أجاد في شرحه لها، ووفق في تعامله معها؟ وبما يتميز عن غيره من الشارحين الآخرين؟

يمثل ابن الأنصاري أحد اللغويين الألمعيين الذين درسوا قصيدة (المنفرجة) بعمق، وتوسع، واستفاضة من خلال عمله العلمي الموسوم ب (الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة)، وهو ما منحها شهرة ضاربة في الآفاق، وميز منهجية ونتائج صاحبها عن أنداده وأترابه.

سنقارب هذا الموضوع بوساطة المنهج الوصفي التحليلي، ونوازن بينه وبين سابقيه ومعاصريه، كما سنوظف جمهرة من المعايير والتأويلات اللغوية الأصيلة، ونقدم

الاستنتاجات والاستنباطات، والمقاصد والاستشرافات النحوية المتوخاة، **يتميز** شرح ابن الأنصاري للمنفرجة بالتنوع والتوسع، والعرض الرصين المتين للمسائل اللغوية وقواعد النحو والعروض العربيين، والاستفاضة في تأويل أركان وقضايا البلاغة والخطاب والأسلوبية المعششة في القصيدة، كما يوازن الشارح بين النُسخ، ويعرف بالأعلام، ويستدرك استدراكات صالحة فالحة، ويعلق على ما فات من الشارحين الأوائل الألمعيين ،**لا يعد** ابن الأنصاري ناقلا إمعةً لآراء سابقيه .، فقد قرأ وفهم وهذب ورتب، وبسط، واختصر العمل المدروس حسب السياق، أو مقتضى الحال، وهو ما جعله ينجز شرحا لغويا جامعا، يحوي بين طياته كل علم طريف وظريف، ويبرز أنه كان فعلا لغويا فذا؛ واسع الثقافة والنظر، متفتحا، وراسخا في المنهج والتخصص. فالرجل كان بحرا ضليعا في شتى أصناف لعلوم، عدت له إحدى الدراسات ثلاثة وستين مصنفا مختلفا في الفقه، والقراءات، والحديث، واللغة، والأدب، والتفسير، والفلسفة، وغير ذلك من العلوم المختلفة. ولم يكن متعسفا في نقده، أو متحيزا لأحد، فقد تناول في كتاباته قصور العبارات، ووسَدّ الثغرات، واستدرك ما فات سابقيه.

الكلمات المفتاحية: المنفرجة. شرح، ابن النحوي، ابن الأنصاري. تصوف. أدب.

Summary:

The poem (Al-Munfarajah) composed by Youssef bin Muhammad Al-Tawzari is one of the most famous Sufi poems that are abundant in the Arab-Islamic heritage. Its fame lies in being a prominent example of poems of supplication and seeking relief from God Almighty in times of hardship and tribulation. Its fame spread among the people in the East and West of the earth, and those interested sang it in the gatherings of remembrance, and the pens of writers and historians recorded it, and generations passed it down. Its fame reached the point that it was translated into other languages, such as Turkish and Persian, and scholars from most regions and regions rushed to explain it and decipher its symbols, and among them is Ibn Al-Ansari, so how did he deal with it? And was he good

in his explanation of it, and was he successful in his dealing with it? And how does he distinguish himself from other commentators?

Ibn Al-Ansari is one of the brilliant linguists who studied the poem (Al-Munfarajah) in depth, breadth, and detail through his scientific work entitled (Al-Adwaa Al-Bahjah fi Ibriz Daqaiq Al-Munfarajah), which gave it a wide-ranging fame, and distinguished the methodology and results of its author from his peers and contemporaries.

We will approach this topic using the descriptive analytical approach, and compare it with his predecessors and contemporaries. We will also employ a group of authentic linguistic standards and interpretations, and present the conclusions and inferences, and the intended grammatical purposes and outlooks.

Ibn Al-Ansari's explanation of Al-Munfarajah is characterized by diversity and breadth, and the solid and solid presentation of linguistic issues and the rules of Arabic grammar and prosody, and the elaboration in interpreting the pillars and issues of rhetoric, discourse, and stylistics nested in the poem. The commentator also balances between the versions, identifies the notables, makes useful and successful additions, and comments on what was missed by the brilliant early commentators. Ibn Al-Ansari is not a mere transmitter of the opinions of his predecessors. He read, understood, refined, arranged, simplified, and abbreviated the studied work according to the context or the requirements of the situation, which made him accomplish a comprehensive linguistic explanation, containing within its folds every interesting and charming science, and showing that he was indeed a unique linguist; broad in culture and insight, open-minded, and firmly rooted in methodology and specialization. The man was a sea well-versed in various sciences. One study counted sixty-three different works of his in jurisprudence, readings, hadith, language, literature, interpretation, philosophy, and other various sciences. He was not arbitrary in his criticism, or biased towards anyone. In his writings, he addressed the shortcomings of expressions, filled the gaps, and made up for what his predecessors missed.

Keywords; Al-Munfarajah. Explanation, Ibn Al-Nahwi, Ibn Al-Ansari. Sufism Literature

المقدمة:

تجسد الشروح الأدبية فن من فنون الأدب العربي ظاهرة كبيرة في التراث العربي بدأت بشرح القرآن الكريم والحديث النبوي ومنه لشرح = ومنه إلى الشعر العربي القديم، وتطورت مع الوقت لتصبح فنا مستقلا، يلتزم فيه الشارح بعناصر محددة تمثل عناصر الشرح، ومن خلال تلكم العناصر يكشف الشارح المعاني ويبين خباياها، ويتناول المسائل، ويعرض عن أخرى بحسب نوع دراسته ومقاصد شرحه التي لا تخلو من الخلفيات الاجتماعية والسياسية ؛ ما يجعل الشرح خطابا معرفيا كاملا، وهذا ما سيظهر لنا في هذه الدراسة لشرح ابن الأنصاري لقصيدة المنفرجة

أهمية البحث

تكمن أهمية بحثنا ومشروعيته في دراسته أحد الشروح الكثيرة لهذه القصيدة التي بلغت شهرتها الآفاق، حفظها الحفاظ، وتغنى بها السمار، وتوسل بها أصحاب الحاجات.

أهدافه:

التعريف بصاحب المنفرجة، وأهميتها، وكثرة شروحها، وتحليل ودراسة شرح ابن الأنصاري لها.

حدوده:

يتعلق بحثنا بدراسة شرح ابن الأنصاري المسمى بـ (الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة)، دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب.

تساؤلاته:

نسرد بعضا منها:

ما الذي ركز عليه ابن الأنصاري في شرحه؟ وما الذي أهمله؟

ما مدى التزام الشارح بضوابط التحقيق؟

ما الجديد في شرح ابن الأنصاري، وما مدى تمسكه بمعايير الشراح = علامة الاستفهام في نهاية جملة استفهامية (؟).

منهجيته:

إن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

لكثرة الدراسات السابقة في فن الشروح الأدبية، فقد أكتفينا بشروح حماسة أبي تمام، للدكتور محمد عثمان علي رحمه الله تعالى.

هيكلية البحث

المقدمة

1- المبحث الأول:

المطلب الأول: التعريف بالقصيدة وأبرز شروحها.

المطلب الثاني: ترجمة الشاعر: يوسف بن محمد التوزري.

2-المبحث الثاني:

المطلب الأول: ترجمة الشارح: زكريا الأنصاري.

المطلب الثاني: الظرف التاريخي للقصيدة.

3- المبحث الثالث:

المطلب الأول: عناصر الشرح الموجودة في شرح ابن الأنصاري.

المطلب الثاني: نفس الشارح ولونه المعرفي.

4- الخاتمة.

5- قائمة المصادر والمراجع.

6- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

المطلب الأول: التعريف بالقصيدة وأبرز شروحها

تعد المنفرجة قصيدة مشهورة في الاستغاثة والتوجه إلى الله جل شأنه في الشدائد والكروب وطلب الفرج، نظمها يوسف بن محمد التوزري المعروف بابن النحوي (433-513هـ-1041-1119م)[1].

ورد في كشف الظنون: " القصيدة المنفرجة لأبي الفضل: يوسف بن محمد بن يوسف التوزري، المعروف بابن النحوي المتوفى عام513هـ.

وقيل لأبي الحسن: يحي بن العطار القرشي الحافظ، والأول: أرجح، نظمها حين أخذ بعض المتغلبين ماله، فرأى ذلك الرجل في نومه تلك الليلة رجلا في يده حربة، وقال له: إما أن ترد أمواله وإلا قتلتك، فاستيقظ وتركه.

قال ابن السبكي: وكثير من الناس يعتقد أن هذه القصيدة مشتملة على الاسم الأعظم، وما دعا به أحد إلا استجيب له ".[2] وقد اهتم بشرحها " جماعة من الشراح، منهم يحي بن المقري المتوفى (فتح مفرج الكرب)، والشيخ محمد بن محمد الدلجي شارح

[1] – الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب. دار الفضيلة. ص39.

[2] – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. دار إحياء التراث العربي. بيروت. د.ت. ج2 . ص 1346.

(الشفاء) المتوفى عام947 م، سماه: (اللوامع اللهجة بأسرار المنفرجة)، أوله: (نحمدك يا من شرح صدورنا بانفراج الكربات ...) فرغ من تأليفه في جمادي الآخرة 894.

وممن شرحها زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي المتوفى 926، أسماه: (الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة) " [3].

" قال ناظمها مخاطبا لما لا يعقل بعد تنزيله منزلة من يعقل:

اِشتدِّي.... أزمةُ تنْفَرجِي قدْ آذنَ ليْلكِ بالبلجِ

في خمس وثلاثين بيتا، خمسها ابن مالك وشرحها الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن يوسف البوصيري، وشرحها الشيخ الزاهد: عبد الرحمان بن حسن المقابري الشافعي، وسماه: (الأنوار البهجة في ظهور كنوز المنفرجة).

وعبيد الله محمد بن يعقوب المتوفى سنة 936، ومن شروحها (الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة) للشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن الشيخ صالح أبي زيد عبد الرحمان المتوفى عام 810. [1]

وإلى جانب شروحها الكثيرة، فقد شرحها للغة التركية والفارسية، وإلى جانب الشروح والترجمة لغير العربية، فقد خُمّست، وسدست، وضمنت، وعورضت.

بلغت شهرة قصيدة المنفرجة الآفاق، وتناولها الكثير من العلماء بالشرح والتحليل، وما يهمنا في هذا البحث قراءة شرح قاضي القضاة زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، ومحاولة التعرف إلى المنهج الذي اتبعه في شرحه للمنفرجة الذي سنحاول في هذا البحث قراءة منهج الشيخ في شرحه لبردة التوزري، للوقوف على

[3] – المصدر السابق. ج2. ص1346

[1] – كشف الظنون. ج2. ص 1447.

مدى أهمية هذا الشـــرح، وتبين مواطن قوته، وذلك بتحليل عينات مختارة وفق شـروط المنهج الوصـفي التحليلي ؛ معيارنا في ذلك تلكم العناصـر التي حددها الدكتور محمد عثمان علي في كتابه : (شروح حماسة أبي تمام) [2]، وذلك بتتبعها في هـذا الشـــرح وتبيَّن مـدى توفرهـا كشـــرط للشـــرح الجيـد.

وقبل الخوض في ذلك وجب التنبيه إلى أن هذه الشـرح ما هو إلا تلخيص لشـرح أحمد بن زيد البجائي، وبعضـا من الشـروح الأخرى، مع تغيير وتصـرف وفقما يقتضـيه الأمر، يقول ابن الأنصـاري : " من شـرح يحل ألفاظها ... لخصـته من الشرح المشار إليه وغيره، مع تبديل وتغيير لما يحتاج إلى تحرير " .[1]

إذن هو شرح لشروح سابقة، يأمل الأنصاري من خلاله أن: " يحل ألفاظها، ويبين مرادها، ويكشف لطلابها نقابها على وجه لطيف "[2] ؛ عدته في ذلك عقل نير، وعلم غزير، وثقافة واسعة.

المطلب الثاني: ترجمة الشاعر:

ناظم القصيدة أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني، أبو الفضل، المعروف بابن النحوي (433- 513هـ) . وتوزر من أعمال تونس، كان فقيها يميل إلى الاجتهاد.[3]

أصله من توزر في الجنوب التونسي، وإليها ينسب، استوطن قلعة بني حماد قرب

---

[2] – ينظر: شرح حماسة أبي تمام. دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها. محمد عثمان علي. دار الأوزاعي. ط1. ص114.

[1]–الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. ص39.

[2]– المصدر نفسه. ص39.

[3]– ينظر: الأعلام. خير الدين الزركلي. ج8. دار العلم للملايين. بيروت. ط5. 1980. ص247

المسيلة في الجزائر، وفيها قضى معظم حياته إلى أن مات فيها ودفن في تربتها 513هـ.

بلغ الشيخ درجة الاجتهاد، وأصبح نظير حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في علمه وعمله، قال عنه ابن حماد القلعي المعروف بابن كلانون (629-1232هـ): "كان أبو الفضل ابن النحوي في بلادنا بمنزلة أبي حامد الغزالي في العراق في العلم والعمل ".[4]

طاف ابن النحوي بلدان المشرق والمغرب، فزار الحجاز، وفاس والأندلس، وأشتغل بتدريس أصول الفقه وغيرها، وأخذ عنه خلق كثير منهم الفقيه ابن الملجوم الفاسي (ت 534هـ)، والفقيه ابن الرمامة (ت 567هـ).

من مواقفه المشهورة انتصاره للغزالي، وإنكاره على سلطان المغرب إحراق كتاب الغزالي، (إحياء علوم الدين)، معتمدا في ذلك على فتوى أصدرها بعض الفقهاء، فنسخ الكتاب في ثلاثين جزءا، وكان يقرأ في كل يوم من أيام رمضان المعظم جزءا.[1]

المبحث الثاني:

المطلب الأول: سيرة الشارح:

هو شيخ الإسلام، قاضي القضاة زين الدين أبو يحي زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري السُنيكي، المصري، الأزهري، الشافعي (823- 926 هـ)، ولد ببلدة سُنيكة 824 هـ، وفيها حفظ القرآن، وسافر للأزهر لإكمال تعليمه، فتتلمذ على

[4]- الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي. مخ. الزاوية العثمانية بطولقة ببسكرة . 2/ض

[1]- ينظر: التَّشوف إلى رجال التصوف. ابن الزيات. تح أحمد توفيق. الرباط. منشورات كلية الآداب. ط2. 1995. ص96.

يد أكثر من مائة وخمسين شيخا، منهم ابن حجر العسقلاني، وشمس الدين الشرواني.

تولى الشيخ إمامة المدرسة الزيدية، والمدرسة الجمالية بالقاهرة، تولى الإفتاء، كما تولى منصب قاضي القضاة[2].

للشيخ مؤلفات كثيرة منها: شرح الأربعين النووية، وتحفة الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري، فتح الباقي في شرح ألفية العراقي، الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، فتح الرحمن في كشف ما يلتبس في القرآن، المناهج الكافية في شرح الشافية، وغيرها الكثير الكثير، عدت له إحدى الدراسات أكثر من ستين مؤلفا في مختلف العلوم.[3]

المطلب الثاني: الظرف التاريخي للقصيدة:

وسبب نظم المنفرجة حسب ما ذكره العلامة أبو العباس النقاوسي البجائي، في شرحه لها، فإن الشيخ قد نظم هذه القصيدة " عند شدة هالت، فانقشعت بفضل الله للحين وزالت، وعادت الحين إلى أحسن ما كانت عليه وآلت، بسبب رؤيا رآها الباغي عليه، قُضع بها، ورُوّعَ بِسببِها، فكُفت يدهُ العادية، ورُدّت غائلتهً البادية ... ولذلك سميت بالمنفرجة ". [4]

سافر ابن النحوي للمشرق وانقطعت أخباره، فاستغل والي توزر هذا الغياب واغتصب أملاكه ولم يترك له شيئا، وقد أثرت هذه الحادثة على معيشة الشيخ، "

---

[2]– ينظر: الأعلام. خير الدين الزركلي.. ج3. ص46.

[3]– الفكر اللغوي عند شيخ الإسلام أبي يحي زكريا الأنصاري في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) دلولي عبد القادر. رسالة دكتوراة. جامعة عباس فرحات. 2012

[4]– الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة. أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن النقاوسي . مخ. الزاوية العثمانية بطولقة ببسكرة . 6/و.6/ض.

فشكا إليه بعض أهله ما هم فيه من ضيق الحال وشدته لفراق بلده فرارا من الظالم، ورغّب إليه أن يرفع لرئيس البلد الأمر، ليأذن لهم بالرجوع، فقال له: سأفعل، وتضرع لله عز وجل في ليل تهجده، فقال رحمه الله:

ثم نظم المنفرجة التي مطلعها:

لبســـتُ ثوب الرجالِ والنَّاس قد ... وقمـتُ أشْـــكو إلى مولايَ مـا أجـدُ

وقلتُ: يا سَـيدي يا مُنتهى أملِي ... يامنْ عليهِ في كشـــفِ الضـــرِّ أعتمدُ

أشـــكُو إليكَ أمورا أنتَ تعلمها ... مـالِي على حملِهـا صـــبرٌ ولا جلَـدُ

وقدْ مددتُ يدي بالضـرِّ مشـتكيًا ... إليكَ يا خير من مُدتْ إليهِ يـــــــــد

وأُعيد عليه السؤال، فقال للسائل: قد بلغ الأمر أهله وسترى، وبعد وقت يسير ورد إليه كتاب من توزر فيه تلطف للشيخ، ورغبة في أن يرجع، فقال للسائل: قضيت الحاجة، وعاد إلى بلده.[1]

المبحث الثالث:

عناصر الشرح الموجودة في شرح ابن الأنصاري:

أولا: تحديد بحر الشعر وضربه وقافيته:

أولى خطوات ابن الأنصاري في تعامله مع نص القصيدة، كانت تحديده لبحرها، حيث بدأ شرحه ببيان أن هذه القصيدة "من البحر السادس عشر المسمى بالخبب، الذي تركه الخليل وغيره، وأثبته الأخفش وغيره، وتفصيله ... سمي بالخبب لقصر أجزائه، وتقطيع أبياته، يحاكي في السمع ركض الخيل وخببها ".[2]

[1]–الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي. مخ. الزاوية العثمانية بطولقة ببسكرة. 6/و.6/ض

[2]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. ص 40.

ثانيا: تسمية القصيدة:

ذكر ابن الأنصاري في شرحه أن هذه القصيدة قد أسماها الشيخ تاج الدين السبكي بـ (الفرج بعد الشدة) [1]، قال: " وهي مجربة لكشف الكروب، وأن كثيرا من الناس يعتقدون أنها مشتملة على الاسم الأعظم، وأن من دعي بها أحد إلا استجيب له ".[2]

ثالثا: اختلاف النسخ:

كثيرا ما عرض الشارح لاختلاف النسخ وتعدد الروايات أثناء شرحه للمنفرجة، ومن أمثلة ذلك ما يطالعنا به عند شرحه لقول الناظم:

والخلقُ جميعًا فِي يدهِ فذوو سَعَةٍ وذوو حَرَجِ

يقول: "وفي نسخة: من ذي سعةِ أو ذي حرجِ ". [3]

ومثل ذلك في موضع آخر عند نقله لقول الشاعر:

فَهجِ الأعمال إذا رَكَدَتْ فإذا ما هِجْتَ إذاً تَهجِ

يقول: " وفي نسخة: (وهج) بالواو.[4]

وفي موضع ثالث عند عرضه لقول الناظم:

وأبي حسنٍ في العلم إذا وافى بسَحَائِبِهِ الخُلُجِ

يقول: وفي نسخة بدل (الخلج) (البلج).[5]

ولا يخفى على أحد أهمية هذا الأمر؛ فمقابلة نسخ المخطوطات أولى خطوات التحقيق

---

[1]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. ص 41.

[2]– المصدر السابق. ص41.

[3]–المصدر السابق. ص58.

[4]–المصدر السابق. ص83.

[5]–المصدر السابق. ص136.

العلمي وأهمها.

رابعا: شرح لغة القصيدة وما فيها من تصريفات واشتقاقات وأوزان:

هذا العنصر موجود بكثرة في شرح ابن الأنصاري، يقول في أحد المواضع: "و (سَعَةٍ) بفتح سينها لفظا وكسرها تقديرا؛ لأن المضارع منها بالكسر، لأنه فتح لحرف الحلق، وأصلها وسِعةٌ بكسر الواو، فأُعِلت تبعا للمضارع بحذف الواو، لوقوعها فيه بين ياء مفتوحة وكسرة مقدرة ".[6]

ومن الأمثلة على شرحه للغة الشعر، قوله في موضع آخر: "همزة (معائش) شاذ؛ لأن ياءها عين الكلمة، بخلاف صحائف، فإن ياءها زائدة.[7]

ويقول في موضع ثالث: (تزدانُ) أصله تزْتَيْن بوزن تَفْتِعل، من الزّيْن، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفا، ووقعت (تاء الافتعال) وهي من الحروف الرخوة بعد الزاي الشديدة فتنافرتا، فأبدل من التاء دالا وأبقيت بحالها.[1]

وفي موضع رابع يقول: (سُروح) بالسين والحاء المهملتين من سرحت الدابة سروحا بالغداة ضد الرواح بالعشي، أي سروح الأنفس والأرواح لطلب منفعة، معاش أو معاد، والإضافة هنا من إضافة الصفة إلى الموصوف.[2]

خامسا: شرح قضايا النحو والإعراب:

قضايا النحو والإعراب من الأشياء التي اهتم بها ابن الأنصاري في شرحه لقصيدة المنفرجة، ومن أمثلة ذلك ما نجده عند شرحه لقول الناظم:

---

[6]–المصدر السابق. ص58.

[7]– المصدر السابق. ص61.

[1]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. ص58,

[2]–المصدر السابق. ص 59.

فلربما فاض المْحيَا ببحورِ الموجِ من اللُّجَجِ

حيث يقول: " وفي (رُبَّ) سبعون لغة: ضم الراء وفتحها مع تشديد الباء ... قال ابن هشام: وليس معناها التقليل دائما، خلافا لابن درستويه ". [3]

ومن الأمثلة على ذلك أيضا، ما جاء به الشارح في أثناء شرحه لقول الناظم:

حِكَمٌ نسجت بيدِ حَكَمَتْ ثم انتسجت بالمنتسج

حيث قال:" و (ثم) للتعقيب بمعنى الفاء ... أو للتراخي الرَتْبي ".[4]

وفي موضع آخر يعرض لقول الناظم:

لتكون من السُّبَّاقِ إذا ما جِئْتَ إلى تلك الفُرجِ

يقول: " إذ ما (ما) زائدة للتأكيد ".[5]

سادسا: معالجة النواحي البلاغية التي اشتمل عليها النص:

يعد هذا العنصر أكثر العناصر وضوحا في شرح زكريا الأنصاري للمنفرجة، فلا يكاد يخلو منه بيت من بيوت القصيدة، ولعل هذا يدلك على أن شرح القصيدة بلاغيا كان مطلب ابن الأنصاري الرئيس، مع عدم إغفاله للعناصر الأخرى . اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج= ضبط المسافة بين الكلمات يعقب ابن الأنصاري : " (ليلك بالبلج) أي ضياء الصبح، وهو استعارة للفرح لاشتراكهما في الإذهاب والتحصيل ؛ لأن الضياء يُذهب الظلمة، والفرج يُذهب الحُزن، ويحصل بكل منهما السرور، وخص الليل بالذكر... كناية عن الكرب ؛

[3]–المصدر السابق. ص56.

[4]–المصدر السابق. ص62.

[5]–المصدر السابق. ص79.

لأنه ملازم له [1]، ويضـيف ابن الأنصـاري أن " في البيت من ألوان البديع، وبراعة المطلع ... ووضوح المعنى، وتناسب المصراعين، وعدم تعلق البيت بما بعده ".[2]

وفي معرض شرحه لقول الناظم:

وظلامُ الليلِ له سُرُجٌ حتَى يغشاهُ أبو السُّرجِ

يقول الشارح: " وفي البيت الجناس التام ... ورد العجز على الصدر ... وكلاهما في سُرَجٍ مع السُّرُجِ ".[3]

ومن ذلك أيضا عند شرحه لقول الناظم:

والخلقُ جميعا في يدهِ فذوو سِعةٍ وذوو حَرَجِ

يقول ابن الأنصاري: " وفي البيت الجمع والتفريق ... كما جمع الناظم الخلق ... والتتميم، وهو في (جميعا)، والطباق وهو في المصراع الثاني، والترديد، وهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم بآخر، كما علق (ذوو) أولا بالسعة، وثانيا بالحرج ". [4]

سابعا: التعريف بالأعلام:

تناول الشارح هذا العنصر في أكثر من موضع، ومن الأمثلة على ذلك ما يطالعنا به تعليقا على قول الناظم:

وأبِي بكْرٍ فِي سيرتهِ ولسانُ مَقالتهِ اللَّهَجِ

يقول: " واسمه: عبدالله بن قحافة عثمان بن عامر بن عمرو، بن كعب، بن سعد، بن تيم، بن مرة القرشي، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في (مُرّة)، ويقال له:

---

[1]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. ص43.

[2] – المصدر السابق. ص44.

[3]– المصدر السابق. ص46.

[4]– المصدر السابق. ص58.

عتيق لعتاقة وجهه، أي: جماله ".[5]

ومن ذلك أيضا عند عرضه لقول الناظم:

وأبي حفْصٍ وكَرامتهِ في قصة سارِيَةَ الخُلُجِ

يقول: " (أبو حفص) هو عمر بن الخطاب، بن نُفَيل، بن عبد العزى، بن رباح، ابن عبدالله، بن قرْط، بن رزاح، بن عدي، بن كعب ".[1]

وعلى هذا النحو يمضي الشارح معرفا بالأعلام متى ما وردت في المنفرجة.

المبحث الرابع: نفس الشارح ولونه المعرفي.

إضافة للعناصر السابق ذكرها في شرح ابن الأنصاري، يظهر للباحث نفس الشارح ولونه المعرفي من خلال أمرين.

الأول هو الطابع الدعوي الإرشادي:

ففي معرض شرحه لقصيدة المنفرجة لا ينسى ابن الأنصاري أنه داعية، فيستغل أي = أية + فرصة سانحة لإيصال رسالته الدعوية، يظهر ذلك جليا في تعليقه على بيت الناظم الذي يقول فيه:

وإذا انفتحت أبواب هُدًى فاعجل لخزائنها وَلِجِ

يعلق ابن الأنصاري وهو يتشح بعمامة الشيخ الداعية: " تضمن كلامه التنبيه على أصل عظيم في السلوك، وهو مخالفة النفس في شهواتها، والتحقق بما ذكر؛ لأن طبعها الميل لترك العبادة ... ولهذا قال العلماء مخالفة النفس رأس العبادة، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها قد أهلكها بمهلكاتها، كالكبر، والعُجْبِ، والحسد، وطول الأمل، وكيف يصح لعاقل الرضا عن النفس، والله تعالى يقول:{ إن النفس

[5]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. ص 125.

[1]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. ص127.

لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي} .[2]

والنفس الدعوي للشيخ الداعية ابن الأنصاري تتلمسه أينما وليت نظرك في شرحه للمنفرجة، يفرضه موضوع القصيدة، ويفرضه أيـضا هوى الرجل وعلمه وثقافته الواسعة، يقول عن التقوى في معرض شرحه لقول الناظم:

فكن المرْي لها بِتُقًى ترضاهُ غداً وتَكُونُ نجِي

" أعظم الخصال وأنفعها، ولهذا وصى الله بها الأولين والآخرين، فقال:} ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله {[1]، وفي الخبر (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أوصني. فقال: عليك بتقوى الله، فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية المسلم، وعليك بذكر الله فإنه نور لقلبك)، وحقيقتها: اجتناب ما يخاف منه ضرر في الدين ".[2]

الثاني: الملمح الصوفي:

الشيخ زكريا الأنصاري كان صوفيا يغشى مجالس الذكر، ويكثر مطالعة كتب القوم ورسائلهم، يقول عن ذلك: " من صغري وأنا أحب طريق القوم، وكان أكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم والنظر في أحوالهم ".[3]

---

[2] – المصدر السابق. ص74.

[1]– سورة النساء. الآية 131.

[2]– الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. ص89.

[3]– المصدر السابق. ص19.

كان ابن الأنصاري يعتقد في ابن العربي[4]وابن الفارض[5]، وكان يتأول كلامهما ويدافع عنهما ضد القائلين بتكفيرهما، ويرى أن فهم مصطلحاتهم شرط من شروط الفقه، يقول: " إذا لم يكن للإنسان معرفة بمصطلح ألفاظ القوم فليس بفقيه "[6].

وقد وجب التذكير هنا أن التوزري، المعروف بابن النحوي صاحب المنفرجة نفسه، كان عالما من علماء الصوفية، عاشر الإمام الغزالي وتأثر به، ونسخ كتابه (إحياء علوم الدين) نسخا عديدة خوفا عليه من الضياع، وهذا جاء بعد جاء الأمر من الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين بإحراق كتاب الإحياء.

عرض ابن الأنصاري في أثناء شرحه لمنفرجة التوزري عديد المرات لآراء المتصوفة، وتمثل بها، يقول في حديثه عن الروح أن كثيرا من المتصوفة يرون أنها " ليست بجسم، ولا عرض؛ وإنما هي جوهر مجرد قائم بنفسه، غير متحيز، متعلق بالبدن للتدبير والتحريك، غير داخل فيه، ولا خارج عنه "[1].

ومن ذلك ما جاء به في معرض شرحه لقول الناظم:

وإذَا اشتاقتْ نفسٌ وجدتْ ألماً بالشوقِ المُعتلجِ

---

[4]– ابن العربي: (560– 638هـ)

محي الدين أبوبكر محمد بن علي الطائي الحاتمي. فيلسوف صوفي. لقب بالشيخ الأكبر. رئيس مدرسة الوجود. ينظر: أعلام الزركلي. ج6. ص 281.

[5]– ابن الفارض: (576– 632هـ)

عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري. أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يعرف بوحدة الوجود. ينظر: أعلام الزركلي. ج 5. ص55.

[6]– الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. نجم الدين الغزي. تح جبرائيل سليمان. د.ط . دار الكتب العلمية. بيروت. 1979. ج 1. ص204

[1] – الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. ص52.

إذ يقول: " والاشتياق أعلى من الشوق؛ لأنه لا يسكن باللقاء، بخلاف الشوق، قال ابن عطا الله: والمحبة أعلى من الشوق أيضا؛ لأنه ينشأ عنها، ويؤخذ منه أنها أعلى من الاشتياق أيضا "

ومن المفيد هنا التذكير بأن تسلط نزعات الشراح في شروحهم أمر معروف شائع بين الشراح، أشار إليه الدكتور محمد عثمان علي في كتابه : (شروح حماسة أبي تمام)، وفيه ذكر بالمرزوقي وميله للتعالي والتفرد، وبانحياز ابن جني الدائم في شروحه لقضايا النحو واللغة، مما تسبب عندهم في قصور الشرح، أو خلل في المنهج، فإن اطلعت على شرح ابن الأنصاري، تجد أن حكم الدكتور محمد عثمان علي بتسلط نزعات الشراح لا ينطبق عليه ؛ فابن الأنصاري وإن لم يخف ...نزعته وهواه، إلا أنه في المقابل لم يطلق لها العنان لتفسد الشرح، وتهلك المنهج، إنما هو خروج العارف، خروج واع مقتصد، هدفه تقديم الإضافة دون تأثير في الشرح ومنهجه.

الخاتمة:

وبعد فقد جاء شرح ابن الأنصاري للمنفرجة منوعا، عرض فيه لمسائل اللغة وقواعد النحو والعروض، ووقف طويلا على وجوه البلاغة فيها، قابل بين بين النُسخ، وعرف بالأعلام، وزاد فوسع واستدرك ما فات سابقيه من الشراح.

وهو شرح تظهر فيه شخصية الشارح قوية بارزة، أينما وليت وجهك في شرحه ؛ فالرجل لم يكن ناقلا لآراء سابقيه فقط، فقد قرأ وفهم وهذب ورتب وبسط واختصر، بحسب ما يقتضيه المعنى ويمليه السياق، فخرج علينا بشرح جمع فيه " من كل علم بطرف، ومن كل فن بلمحة، ومن كل تخصص بنبذة، وفق قواعد المنهج التجميعي الانتخابي الذي يشترط سعة الثقافة وغزارة العلم، وهذا ما يتميز به ابن الأنصاري، فالرجل كان بحرا ضليعا في شتى العلوم، عدت له إحدى الدراسات ثلاثة وستين مصنفا مختلفا في الفقه، والقراءات، والحديث، واللغة، والأدب، والتفسير، والفلسفة، وغير ذلك من العلوم المختلفة.

يقول عنه أحد الدارسين أنه لم يكن متعسفا في نقده، أو متحيزا لأحد، تناول في كتاباته قصور العبارات، ووسَدّ الثغرات، واستدرك ما فات سابقيه.

المصادر والمراجع:

1-القرآن الكريم.

2-الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة. شرح زكريا الأنصاري. دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب. دار الفضيلة.

3-الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي. مخ. الزاوية العثمانية بطولقة ببسكرة.

4- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. زكريا الأنصاري. تحق محمد علي

الصابوني. ط1. دار القرآن الكريم. بيروت. لبنان. 1983.

5-الأعلام. خير الدين الزركلي. ط5. دار العلم للملايين. مايو 1980.

6-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. د.ت.

7-الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. نجم الدين الغزي. تح جبرائيل سليمان. د.ط . دار الكتب العلمية. بيروت. 1979.

8-شروح حماسة أبي تمام. دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها. محمد عثمان علي. دار الأوزاعي. ط 1.

9-شروح الشعر الجاهلي. مناهج الشراح. أحمد جمال العمري. ط1. 1981. دار المعارف.

10-التَّشوف إلى رجال التصوف. ابن الزيات. تح أحمد توفيق. الرباط. منشورات كلية الآداب. ط2. 1995.

11- التصوف من الإيمان إلى الإحسان. عثمان طوباشي. تر: محمد حرب وآخر. دار الأرقم. إسطنبول.2016.

12- الفكر اللغوي عند شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. دلولة قادري. رسالة دكتوراه. جامعة فرحات حشاد. الجزائر. 2012.

13- الإيقاع في قصيدة المنفرجة. رسالة ماجستير. سعاد غيابة. جامعة محمد خيضر. بسكرة. 1433- 1434هـ.

14-مجلة جامعة الزاوية. العدد العاشر. 2008.